وثيقة رقم ٢

الدورة العادية التاسعة والخمسون – بكركي، ٩ – ١٣ تشرين الثاني ٢٠٢٦
59ème Session Ordinaire – Bkerké, 9 – 13 novembre 2026

كلمة البطريرك الكاردينال مار بشاره بطرس الراعي

في افتتاح أعمال دورة مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان

بكركي - الاثنين ٩ تشرين الثاني ٢٠٢٦

"نحو كنيسة متجدّدة في زمن الأزمات"

أصحاب الغبطة الكلِّيّ الطوبى،
سيادة السفير البابوي السّامي الاحترام،
السّادة المطارنة الأجلّاء،
قدس الرؤساء والرئيسات العامّين، والإقليميّين الجزيل احترامهم،
الآباء والرهبان والراهبات والإخوة والأخوات الأحبّاء،

نودّ أوّلًا أن نرحّب معكم بحضرة الأب الياس رحمة، رئيس شبه إقليم الشرق الأوسط للرهبنة الكبوشيّة، ونهنّئ صاحب السيادة المطران إدوارد جاورجيوس الضاهر – رئيس أساقفة طرابلس وسائر الشمال للروم الملكيين الكاثوليك – لانتخابه مطرانًا على أبرشية بترا وفيلادلفيا وسائر شرق الأردن، والذي سيغادر المجلس في نهاية السنة الحالية. ونشكر الذين غادرونا: سيادة المطران غي بولس نجيم الذي قدّم استقالته كمشرف على الحركة الرسولية المريمية، وحضرة الأب عبدو ميخائيل عبدو، الرئيس الإقليمي للآباء الكرمليين. وقد ودّعنا المثلث الرحمة المطران فلابيانوس يوسف ملكي، أسقف دارا شرفًا، والمعاون البطريركي للسريان الكاثوليك سابقًا.

ليست الكنيسة مجرّد مؤسسة تاريخية تتأثّر بالأزمات التي تعصف بالعالم، بل هي جماعة تستمدّ وجودها ورسالتها من المسيح الحيّ، الذي يقودها بروحه القدّوس عبر تقلّبات التاريخ. ولذلك، فإنّ تجديد الكنيسة لا يعني تبديل هويّتها أو القطيعة مع ماضيها، بل العودة المتجدّدة إلى ينبوع حياتها، يسوع المسيح، الذي «هو هو أمس واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨).

إنّ الأزمات التي نعيشها ليست مجرّد تحدّيات ينبغي تجاوزها، بل هي دعوة إلى اكتشاف ما يطلبه الروح القدس من الكنيسة في هذه المرحلة. فالكنيسة لا تنتظر انتهاء العواصف لكي تواصل رسالتها، بل تشهد لحضور المسيح وسطها، وتحوّل جراح التاريخ إلى مواضع لحضور النعمة. فإنّ التجديد الكنسي الحقيقي لا يقوم على تبديل الأشكال الخارجية، بل على تجلّي محبّة الله في حياة الكنيسة. ومن هنا، نتأمّل في أربعة أبعاد أساسية لتجديد الكنيسة: **شهادة الإيمان، شهادة الرجاء، شهادة المحبّة، والشركة السينودسية**.

١. شهادة الإيمان: من حضور الكنيسة في المجتمع إلى حضور المسيح في الإنسان

إنّ أول ما تحتاج إليه مجتمعاتنا في زمن الاضطراب ليس مجرّد أجوبة عن أزماتها، بل استعادة المعنى الذي يمنح الحياة اتّجاهها، والألم قيمته، والرجاء أساسه. فالكنيسة مدعوّة إلى أن تكون حارسة الوديعة الإلهية، وشاهدة للحقيقة التي تحرّر الإنسان.

يذكّرنا القديس بولس بقوله: «لا تتشبّهوا بهذا الدهر، بل تحوّلوا بتجديد عقولكم» (رو ١٢: ٢). فالتجديد يبدأ من الداخل، من عقل يستنير بالحقيقة، وقلب ينفتح على النعمة، وإرادة تستجيب لمشيئة الله.

ويؤكّد البابا بندكتس السادس عشر في رسالته «الله محبّة» أنّ الإيمان المسيحي ليس مجرّد قرار أخلاقي أو فكرة عظيمة، بل لقاء بشخص المسيح، الذي يمنح الحياة أفقًا جديدًا واتّجاهًا حاسمًا.

وفي لبنان، حيث تتقاطع الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع التحوّلات الثقافية والروحية، تبقى مسؤوليتنا أن نحفظ للإيمان قدرته على إنارة الضمائر. وتؤدّي العائلة والمدرسة والجامعة والرعية دورًا أساسيًا في تنشئة إنسان مؤمن، حرّ في ضميره، ثابت في قيمه، ومسؤول في مجتمعه. فالكنيسة لا تقاس رسالتها بمقدار حضورها الاجتماعي، بل بمقدار ما يثمر حضورها إنسانًا مؤمنًا، أمينًا لله وللإنسان.

٢. شهادة الرجاء: من جراح الحاضر إلى مسؤولية المستقبل

إنّ الرجاء المسيحي ليس تفاؤلًا عابرًا، ولا انتظارًا سلبيًا لتحسّن الظروف، بل فضيلة إلهية تنبع من قيامة المسيح، وتحوّل المستقبل إلى وعد إلهي ومسؤولية إنسانية.

يقول الرسول بولس: «والرجاء لا يخيّب، لأنّ محبّة الله قد أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا» (رو ٥: ٥). ويؤكّد البابا بندكتس السادس عشر في رسالته «بالرجاء مخلَّصون» أنّ الرجاء الحقيقي لا يغيّر نظرتنا إلى المستقبل فحسب، بل يغيّر طريقة حضورنا في الحاضر.

وفي وطننا لبنان، حيث يواجه الشباب قلق المصير، وتعاني العائلات أعباء الحياة، وتثقل الهجرة قلب المجتمع، فإنّ رسالة الكنيسة هي أن تكون أمًّا ترافق أبناءها، وصوتًا يدافع عن حقوقهم، وقوّة روحية وأخلاقية تساهم في الدفاع عن كرامتهم، وعن حقّهم في التربية والاستشفاء والعمل والحياة الكريمة.

ونؤكّد تمسّكنا برسالة لبنان، وبضرورة صون العيش المشترك، وبناء دولة العدالة والقانون والمؤسسات، وحماية الحرّيات والكرامة الإنسانية. فالرجاء الذي لا يتحوّل إلى التزام يبقى أمنية، أمّا الرجاء المستمدّ من القيامة فيمنحنا القدرة على البناء، حتى عندما تبدو التحدّيات كبيرة.

٣. شهادة المحبّة: حين تصبح الكنيسة وجه الرحمة في العالم

إنّ الإيمان الذي لا يثمر محبّة يبقى ناقص الشهادة، والرجاء الذي لا يلامس جراح الإنسان يفقد قدرته على الإقناع. ولذلك، تبلغ رسالة الكنيسة ملأها عندما تتحوّل الحقيقة التي تعلنها إلى محبّة يعيشها الإنسان ويختبرها.

لقد جعل المسيح من المحبّة علامة الانتماء إليه: «بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إن كان فيكم حبّ بعضكم لبعض» (يو ١٣: ٣٥). وجعل من خدمة المحتاج لقاءً به شخصيًا: «كلّما صنعتم ذلك بواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فبي صنعتموه» (متى ٢٥: ٤٠).

من هنا، فإنّ مؤسساتنا التربوية والاستشفائية والاجتماعية والخيرية ليست مجرّد أطر لتقديم الخدمات، بل امتداد ملموس لمحبّة المسيح الراعي الصالح، وحضور الكنيسة حيث يحتاج الإنسان إلى من يصون كرامته ويدافع عن حياته.

ويذكّر البابا فرنسيس في إرشاده الرسولي «فرح الإنجيل» برغبته في كنيسة فقيرة للفقراء. فالفقر الإنجيلي لا يعني العجز عن العطاء، بل حرية القلب التي تجعل الإنسان غاية الخدمة، لا وسيلة لها. فالمحبّة المسيحية لا تكتفي بأن تمدّ يدها إلى الإنسان الساقط، بل أن تساعده على الوقوف والسير واستعادة مكانته وكرامته.

٤. السينودسية: حين تصبح الشركة أسلوبًا للرسالة

إنّ التجديد الكنسي الذي نتطلّع إليه يجد في المسيرة السينودسية دعوة متجدّدة إلى عيش سرّ الشركة، لا بوصفها تنظيمًا للعلاقات فحسب، بل تعبيرًا عن طبيعة الكنيسة نفسها، شعب الله السائر في التاريخ بقيادة الروح القدس. لقد اختبر الرسل هذا السرّ منذ المجمع الأول في أورشليم حين أعلنوا: «لقد رأى الروح القدس ونحن» (رسل ١٥: ٢٨). ففي هذه العبارة تتجلّى عظمة التمييز الكنسي: أن نصغي بعضنا إلى بعض لكي نصغي معًا إلى الروح القدس.

إنّ السينودسية لا تنتقص من المسؤولية الرسولية التي ائتمننا المسيح عليها، بل تعمّق ممارستها في روح الشركة والإصغاء والتمييز. وهي تدعونا إلى تثمين المواهب التي أغنى بها الروح القدس شعبه، وإلى تعزيز التكامل بين الأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات والعلمانيين، لكي تصبح المشاركة قوّة في الرسالة، والشركة شهادة للوحدة. فإنّ مصير البشر مترابط، وإنّنا أعضاء في جسد واحد، وإنّ أحدًا لا يستطيع مواجهة الحياة منعزلًا، لأنّ الأخوّة هي الطريق إلى بناء مستقبل مشترك.

إنّ الكنيسة التي نريدها متجدّدة ليست كنيسة بلا جراح، بل كنيسة تعرف أنّ جراح المسيح القائم أصبحت ينابيع حياة. وليست كنيسة تنتظر انقشاع العواصف لكي تواصل رسالتها، بل كنيسة تدرك أنّ حضور الربّ فيها يمنحها القدرة على عبور العواصف.

إنّ دعوتنا اليوم هي أن نجعل من الإيمان قوّة تثبيت، ومن الرجاء شجاعة بناء، ومن المحبّة فعل خلاص، ومن الشركة السينودسية أسلوبًا دائمًا لحياتنا ورسالتنا. مع الشكر لإصغائكم!

*****